الروحانيات الحديثة

المبحث الأول : تعريف الروحانية .

أولا : تعريف الروحانية في اللغة العربية .

الرُّوحاني – بضم الراء – نسبة إلى الرُّوح، على غير قياس، والجمع : رُوحانيون. قال **الزبيدي** : "الألف والنون من زيادات النسب ، وهو من نادر معدول النسب"، زيدت بقصد المبالغة أو التوكيد، ولهذا نظائر كثيرة في اللغة.

والروحُ يذكّر ويؤنّث، والجمع: أَرْواح. ويسمَّى القرآن رُوحاً، وكذلك جبريلُ وعيسى عليهما السلام[1].

ثانيًا : المعاني الاصطلاحية للروحانية وإطلاقاتها.

الرُّوحانية –بضم الراء– من المصطلحات المشكلة التي تطلق ويُراد بها معان متعددة، ومتضاربة أحيانًا، فلا بد من تصور تلك المعاني لأجل فهم المقصود بإطلاق المصطلح في كل سياق. وفيما يلي حصر لأبرز معاني "الروحانية" واستخداماتها:

(١) الروحاني بالمعنى الكهنوتي الكنسي: حيث تُرجع نشأة المصطلح إلى الثقافة النصرانية، ويطلق على علماء النصارى "الآباء الرُّوحانِيُّون"، وتسمى التزام التعاليم النصرانية في الحياة "روحانية".

[1] سمي القرآن روحًا لأن به حياة القلوب بالإيمان من موت الكفر، ووصف عيسى عليه السلام بأنه ﴿ روح منه ﴾ لعدة أقوال ذكرها أهل التفسير، منها: أنها إضافة تشريف، وقيل هو النفخ الذي نفخه جبريل، وقيل الرحمة، وقيل غير ذلك، أما جبريل عليه السلام فسيأتي توضيحه لاحقا.

(٢) الروحانية في باب السحر والأسرار والأبراج: فهو لفظ شائع في تلك الأوساط قديما وحديثا، فيطلق على الساحر: "الشيخ الروحاني" أو "المعالج الروحاني"، ونحوهما، لأنه يعتمد على"العِلْم الروحانيّ" الذي هو علم السِّحر القائم –باعتقادهم– على الاتصال بالأرواح.

(٣) الروحاني الذي خُلق بروح بلا جسد: قَالَ النَّضر: "الرُّوحانِيُّون أَرْوَاحٌ لَيست لَهَا أَجْسَامٌ، هَكَذَا يُقَال. قَالَ: وَلَا يُقَال لشيءٍ من الخَلْقِ رُوحَانِيّ إِلَّا للأَرْواح الَّتِي لَا أجْسَادَ لَهَا،كالجن والملائكة ".

وهنا مسألة يحسن ذكرها في هذا السياق، وهي: هل يصح وصف الجن والملائكة بأنها أرواح؟ أو بأنها "روحانية" وفقا للتعريف السابق؟

والصواب بطلان هذا القول، فقد ثبت أن للملائكة أجسام نورانية كما يدل عليه ظاهر القرآن، وقد قال الشيخ **ابن عثيمين** رحمه الله في (شرح الأربعين النووية) : "الملائكة أجسام بلا شك، كما قال الله ﷻ : ﴿ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ ﴾ [فاطر : ١] ، وقال النبي ﷺ : [**أطت السماء**] والأطيط: صرير الرحل ، أي إذا كان على البعير حمل ثقيل ، تسمع له صريراً من ثقل الحمل ... ويدل لهذا : حديث جبريل عليه السلام أن له ستمائة جناح قد سد الأفق ، والأدلة على هذا كثيرة . وأما من قال: إنهم أرواح لا أجسام لهم ، فقوله منكر وضلال ". وقال –رحمه الله– في (القول المفيد) : "فالقول بأنهم أرواح فقط إنكار لهم في الواقع ، وهو قول باطل".

ولا يصح الاستدلال بقول الله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء : ١٩٣] ، أو بقوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ١٠٢] على أن الملائكة "أرواح"، فالمقصود بالآيات هو جبريل عليه السلام، قال **ابن أبي العز** في شرحه على متن الطحاوية: "سمي روحا لأنه حامل الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرسل من البشر صلوات الله عليهم أجمعين"، وليس المقصود أنه عليه السلام خلق بروح دون جسد.

ولو كان المقصود بهذه التسمية وصف طبيعته الخلقية، لصحت تسمية الملائكة كلهم أرواحا لاستوائهم في أصل الخلقة، لكن الذي تدل عليه الأدلة هو أن التسمية خاصة بجبريل عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ: ٣٨] ، وقوله: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤] ونحو ذلك.

(٤) "الروحاني" بمعنى الشيء الواقع على الروح. فيقال – مثلا– عذاب روحاني، أي: العذاب الذي يقع على الروح ، والمعاد الروحاني: أي بعث الأرواح. وأحيانًا يقال طبيب "رُوحانيٌّ" أو طِبٌّ روحانيٌّ ويُراد به نوع من علاج النَّفس.

(٥) "الروحانية" بمعنى: علم الإلهيات وما وراء الطبيعة، كما جاء في (تكملة المعاجم العربية) .

(٦) وأخيرًا، تطلق "الروحانية" للتعبير عن بعض المعاني الشرعية، كالأزمنة والأماكن المقدسة وما يحصل فيها من سمو النفس وزيادة للإيمان أو خشوع القلب وحياته –خاصة عند عوام المسلمين– فيقال: "روحانية" الفجر، أو: الحرم مكان "روحاني"، وأجواء رمضان "الروحانية"، ونحو ذلك. علما أنه لم يرد لفظ "الروحاني" – أو أي من صيغه – في كتاب الله ﷻ، ولا على لسان نبيه ﷺ ، وإنما ورد في بعض الأحاديث التي حكم عليها أهل العلم بالوضع [٢]، ولذلك فإن استخدامه للتعبير عن المعاني الشرعية مستفاد من الثقافات الأخرى، والتزام الاصطلاح الشرعي –بلا شك– أسلم وأولى، وإن كان الحكم قد يتفاوت بحسب المراد في السياق.

و لا بد –هنا– من التفريق بين مصطلحين يكثر بينهما الخلط، هما: الرُّوحاني بالضم والرَّوحاني بالفتح، فالرَّوحاني بفتح الراء هو من "الرَّوح" والراحة، والمكان "الرَّوحاني" –بهذا المعنى– هو المكان الطيب الذي فيه راحة البدن والنفس، وفي لسان العرب : "مكان روحاني – بالفتح – أي : طيب"، وقال **ابن عباس** رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ (يقول: راحة ومستراح)، فلا إشكال في هذا التعبير لغة ولا شرعًا.

[٢] ومن ذلك: حديث **[قومٌ يقالُ لَهُمُ الرَّوحانيُّونَ ، خلقَهُمُ اللَّهُ من ضوءِ نورِهِ]** حكم عليه الألباني بالوضع في السلسلة الضعيفة: ٦٥١٦، وحديث: **[يبعثُ اللهُ عزَّ وجلَّ بكلِّ حرفٍ منها سبعَمائةِ ألفِ ملَكٍ من الرَّوْحانيّن]** أورده ابن الجوزي في الموضوعات: ٣ / ١٧٦، وحديث: **[مَنِ استمعَ إلى صَوتِ غناءٍ ، لم يؤذَنْ لهُ أن يسمعَ الرُّوحانيّينَ في الجنَّةِ]** ضعفه الألباني في ضعيف الجامع: ٥٤٠٩.

ثالثًا :الروحانية الحديثة في الاصطلاح الغربي (Modern Spirituality).

يُستخدم لفظ الروحانية (spirituality) في العالم الغربي للتعبير عن عدة معاني، منها ما هو متعلق بالمفاهيم الدينية "التقليدية" -كما ذُكر في المطلب السابق – ومنها ما يحمل معان مغايرة لتلك المفاهيم أو مناقضة لها، والذي يعنينا في هذا البحث تحديدا، هو مفهوم "الروحانية" في الاصطلاح الحديث، والمقصود بها كتيار فكري محدد المعالم ضمن المذاهب الفكرية والعقدية المعاصرة .

ورغم أن التعريف قد لا يكون سهل التحصيل لما تتصف به الروحانية الحديثة من ضبابية وغموض في كثير من جوانبها، إلا أنه باستعراض بعض التعريفات المتنوعة للمصطلح، سيتمكن القارئ من استنباط مفهوم يوضح أبرز خصائص هذا المذهب الباطني الملفق.

يشير **ديك هوتمان** الباحث في "حركة العصر الجديد" إلى أن الروحانية الحديثة هي: مزيج من علم النفس الإنساني، والمعتقدات الصوفية والباطنية، والديانات الشرقية.

ويقول "المعلم الروحاني" **تشارلز كانون**: إن "الروحانية الحديثة هي فلسفة شمولية للحياة تتناسب مع الزمن الذي نعيش فيه. فهي تكشف للإنسان تجربة الحقيقة، ومصدر الحياة كلها، الذي هو وعي واحد".

بينما يرى **نيل هارغروف** أن الروحانية هي: تقبل الفرد ورفض المؤسسة، ويقصد بذلك المؤسسة الدينية المتمثلة في الكنيسة في الغرب، وإن كان كلامه ينطبق على أي مؤسسة دينية أو دين بمعناه الأصلي في جميع أنحاء العالم.

ويصفها **مانو جوزيف** بأنها طريق لاستكشاف العقل بلا إله ، كما عُرّفت بأنها: عملية البحث عن المقدس .

وبناء على ما سبق يمكن تعريف "الروحانية الحديثة" بأنها :

فلسفة شمولية للحياة، يسعى فيها الفرد للاستكشاف الروحي والبحث الذاتي عن الحقائق الإلهية خارج الإطار الديني المؤسسي، تقوم على الفلسفات الشرقية والعقائد الصوفية الممزوجة ببعض مبادئ العلوم النفسية.

"فالروحانية" كتيار جديد، ومذهب فكري مستحدث، منفصلة تماما عن الطرح الديني، بل هي مزاحمة له، تقدم بدائل لا دينية لتحقيق ذات الأهداف والغايات المرجوة من التدين، بل تعد شكلاً من أشكال الثورة على "الأصولية الدينية"، وتتمثل في "حكمة روحانية عالمية" تعمل على تغيير الإنسان من داخله، لا عبر وساطة الأنبياء و"قيود" الوحي، وتوسيع دائرة المقدس لتشمل كل شيء .

رابعًا : الفرق بين الروحانية والروحية والأرواحية.

يخلط بعض المترجمين في ترجمتهم لمصطلحين أعجميين هما: Spiritualism - Spirituality، مما يؤدي إلى اختلاط مُشكل في المفاهيم، وتولُّد بعض الالتباسات التي تحول دون التصور الدقيق لهذه المذاهب، ولذلك ينبغي تحرير هذه المصطلحات والتمييز بينها، كالتالي:

١. **الروحانية** spirituality هي ما تم التوصل لتعريفه في المطلب السابق.
٢. **الروحية** spiritualism (أو المذهب المشابه لها : Spiritism) هي ما يعرف بالمذهب الروحي، وهو المذهب القائم على ثلاثة أصول :
   - الاعتقاد بإمكانية التواصل مع "الأرواح".
   - أن "الأرواح" تمتلك قدرات تفوق قدرات البشر الأحياء.
   - استمداد العلوم والمعارف من تلك الأرواح.

ويضاف إلى المصطلحين السابقين مصطلح معرب قد يختلط بهما لتشابه المبنى اللغوي بينهم، وهو: المذهب "**الأرواحي**" Animism ، الذي يمكن اختصار تعريفه بأنه مذهب قائم على الاعتقاد بوجود الحياة -أو الروح- في جميع الكائنات دون استثناء، حتى الجمادات والأفعال والكلمات.

ولكن مع ضرورة التمييز بين هذه المذاهب والمصطحات المتشابهة، إلا أنه لا بد أن يعلم أن هذه المذاهب كثيرا ما تجتمع وتتداخل، وقد يكون الشخص الواحد متبنيا للمذاهب الثلاث في الوقت ذاته، بل ربما عدت كالمراحل والمقدمات لبعضها.

المبحث الثاني : الأصول العقدية للروحانية الحديثة.

أولا: الديانات الوثنية القديمة.

يمكن تتبع الجذور الباطنية للتيارات الروحانية وأفكارها حول الإله، والإنسان، والكون، إلى أصول ضاربة في القِدَم، كثيراً منها يرجع إلى الديانات الشرقية، ومن أهمها – إن لم تكن أهمها على الإطلاق – هي الديانة الهندوسية.

(١) **الهندوسية:** هناك اتجاهان رئيسان لما يعرف اليوم بـ "الهندوسية"، هما:

١. الاتجاه الوثني التعددي: وهو الذي يحمل الطابع الشركي المعروف، والمتمثل بعبادة الأوثان وتقديم القرابين وإقامة الطقوس والشعائر الدينية.
٢. الاتجاه الفلسفي القائل بوحدة الوجود، وأبرز معالمه:
   - مبدأ البراهمان أو الوجود المطلق.
   - وقانون الجزاء "الكارما" وتناسخ الأرواح.
   - والتحرر من التناسخ عن طريق الاتحاد بالمطلق/الإله أو ما يعرف بـ "الموكشا".

ويعتبر الاتجاه الثاني –خاصة مدرسة الفيداتنا القائمة على تأليه الذات– من أهم المصادر العقدية للروحانيات الحديثة.

(٢) **الطاوية:** وهي فلسفة وديانة صينية شعبية قديمة، تشكلت عبر مراحل مطولة. تحاط كثير من تعاليمها بالغموض، ويحرص أتباعها على السرية التامة حيث لا تُفشى أسرارها إلا لخواص الأتباع.

وفيما يلي عرض لأهم مبادئ الجانب الفلسفي لهذه الديانة، وأبرز معتقداتها:

١. **الـ طاو:** هو المطلق الأبدي في الفلسفة الطاوية، ويشبه— إلى حد كبير — الـ براهمان عند الهندوس، كما أن فلسفة الطاوية في ابتداء الكون تشبه التسلسل الفيضي عند اليونان. فالـ طاو يولّد واحداً، ومن الواحد يتولد الاثنان، ومن الاثنين الثلاثة، ومنها كل الموجودات.

٢. **فلسفة الـ ين يانغ**: وهي المتناقضات التي تمثل وحدة الوجود القطبية.
٣. **الاتحاد والتنوير (الإشراق)**: حيث يعد التوحد مع الـ طاو -أو المطلق- هو الهدف الرئيس في الفلسفة الطاوية.

(٣) **البوذية**: كانت بداية نشأة بوذا وفلسفته في بلاد الهند، ولذلك لم تخرج عن إطار الفكر الهندي بشكل عام، فقد تبنت البوذية العديد من أفكارها ومعتقداتها، ومن أهمها: عقيدة الـ كارما والـ سمسارا، واستبدلت الموكشا بالنيرفانا.

(٤) **الديانة المصرية القديمة**: وهي عبارة عن مجموعة من المعتقدات والطقوس المتعلقة بالمجتمع الذي كان يقطن بلاد مصر فيما يقدر بثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. وقد كان لديهم جانب باطني ومعتقدات استسرارية، حتى اعتبرت مصر القديمة منبعاً من منابع العلوم الباطنية المتعلقة بالكون والنفس.

فالوثنية التعددية المصرية تطورت إلى أن تقرر لدى أتباعها أن الإله واحد، ولكن هذا التطور قصر دون التوحيد وانحرف إلى وحدة الوجود، فكان يُنظر إلى الآلهة – وجميع الكائنات – على أنها ليست سوى تجليات لذلك الوجود المقدس، أو على أن "روح" الإله قد حلت فيها. وكنتيجة مباشرة للاعتقاد بوحدة الوجود يأتي القول بتأليه الذات البشرية، حيث كان تأليه الإنسان من أهم أهداف الأسرار المصرية.

(٥) **الهرمسية**: هي الديانة التي ظهرت في الفترة الهيلينية عند اختلاط معتقدات الإغريق بالمعتقدات المصرية القديمة، فسجلت في مجموعة مخطوطات تم جمعها في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد، فنشأ عن تلك الكتابات منظومة من الاعتقادات والفلسفات الغنوصية التي مثلت مذهباً باطنياً متميزاً أُطلق عليه اسم: الهرمسية نسبة إلى شخصية أسطورية هي هرمس مثلث العظمة.

ثانيا : الاتجاهات الباطنية في الفلسفة اليونانية.

لقد كان للثقافة اليونانية توجه فلسفي أثَّر في الروحانيات الحديثة، ويرى بعض الباحثين أن الفلسفة اليونانية قد تأثرت بالديانات الشرقية وقدمتها في ثوب إغريقي، وأن تلك الديانات هي مصدر التوجه الباطني داخل الفلسفة اليونانية. ومن أبرز فلاسفة اليونان ذوي التوجه الباطني : فيثاغورس، وأفلاطون، وأفلوطين، على تفاوت بينهم. وفيما يلي تعريف موجز بهم:

(١) **فيثاغورس**: يعتبر الرياضي اليوناني فيثاغورس أبرز فلاسفة مرحلة "ما قبل سقراط" ممن ظهرت النزعة الباطنية في فكرهم وكتاباتهم، وقد يعد أول من قدَّم فكرة الوجود المطلق للعقلية الغربية. شكَّل مذهباً باطنياً يشبه إلى حد كبير التوجه الفكري في الفلسفات الشرقية، حتى كانت الـ فيثاغورية شبيهة بالجماعة الصوفية، حيث اهتم أتباعها بالأسرار والخوارق، والخرافات، مع ما لديهم من فلسفة عقلية.

(٢) **أفلاطون**: يُذكر أن "تأمل المطلق الأبدي" كان غاية الوجود البشري عند أفلاطون، والوسيلة التي تكتمل بها الروح وتتطهر، فتتحرر من الجولان في العالم، إذ لا يبقى حاجة لتكرار الولادة. وهي فلسفة مطابقة للفلسفة الشرقية – إن لم تكن مأخوذة عنها.

ويمكن تلخيص الجوانب الباطنية في فلسفة أفلاطون –والتي أثرت في الروحانيات الحديثة– بالتالي:

١. الاعتقاد بتناسخ الأرواح، وفقا لرأي بعض الباحثين.
٢. القول بـ "عالم المثل" وأن ما نراه من العالم هو وهم وأشباح.
٣. تأليه النفس البشرية واحتواءها على الطبيعة الإلهية.

(٣) **أفلوطين والأفلاطونية المحدثة** : ظهرت الأفلاطونية المحدثة في العصر الهيليني، ومن أبرز معتقداتهم الباطنية – التي تتشابه مع معتقدات التيار الروحاني بشكل ظاه– ما يلي:

١. وحدة الوجود.
٢. الفيض والتولد.
٣. تناسخ الأرواح.

٤. تأليه الذات.
٥. المعرفة قائمة على الحدس.

ثالثا : الغنوصية.

"الغنوص"هي كلمة يونانية معناها اللغوي هو: المعرفة أو العرفان. ومعناها في الاصطلاح: التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا والحقائق الكلية بشكل داخلي ذاتي مباشر، لا من خلال الوحي الخارجي، ولا العمليات العقلية.

أما "الغنوصية" فهي توجه فكري يضم فرقاً متعددة يجمعها الاعتقاد بان "الخلاص" يكون من خلال العلوم الباطنية الاستسرارية وأحياناً بالاستعانة بالطقوس السحرية. ومن أبرز المعتقدات الغنوصية ما يلي:

١. التأويل الباطني للنصوص .
٢. المعرفة الغنوصية.
٣. أن "الإله" وجود واحد غير عاقل، صدر عنه العالم، ومن أراد "العودة" إلى الطبيعة الإلهية لزمه الغنوص، فالأصل وحدة وجود والهدف هو الاتحاد.
٤. تناسخ الأرواح.
٥. تأليه الإنسان.

رابعًا: الاتجاهات الصوفية في الإسلام.

لقد ظهر "التصوف" في بيئة إسلامية، فاصطبغ بشيء من مفاهيمها و مصطلحاتها ولكنه أبقى على المفاهيم الدخيلة على تلك البيئة، وبنى معتقداته عليها، فكانت من أبرز تلك العقائد –والتي اختلطت في الأزمنة المتأخرة مع الروحانيات الحديثة – ما يلي:

١. "الإله" عند أهل التصوف وجود مطلق خال من الصفات، والكون صادر عنه عن طريق الفيض.
٢. القول بوحدة الوجود، وما يتبعه من وحدة الأديان، وتأليه الذات.
٣. الفناء: والمقصود هو الفناء عن وجود السوى، وتعبير عن الاتحاد. وهو فناء الملاحدة الذي يتحققون فيه أنه لا موجود لا الله، وأن هذا الكون هو الله.
٤. العلم اللدني: فالتصوف هو غنوصية الإسلام، والمعرفة عند الصوفية تكون بالكشف والإلهام، وتعتمد على التأويل والرمزية في تفسير النصوص الدينية.
٥. الصوفية طائفة باطنية استسرارية، تقصُر تعاليمها على خواص الأتباع وتقوم على الأسرار الباطنية.

خامسًا : المذاهب الباطنية المعاصرة.

إن حصر الحركات والفلسفات المعاصرة التي أسهمت في نشأة الروحانيات الحديثة يكاد يتعذر، فهي أكثر من أن تحصى في مثل هذا المقام، كما أنها متداخلة ومتشعبة، ولذلك سنكتفي بذكر أبرزها:

(١) الفلسفة المتعالية (Transcendentalism):

الفلسفة المتعالية هي مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي نشأت في الولايات المتحدة عند بداية القرن التاسع عشر كردة فعل للعقلانية السائدة في تلك الحقبة، وهي أول اتجاه فكري في الولايات المتحدة تظهر فيه آثار الفلسفة الشرقية –والهندوسية على وجه الخصوص.

لقد انطلقت هذه الفلسفة من مقالة كتبها رالف إمرسن (Ralph Emerson) في عام ١٨٣٦م بعنوان: (الطبيعة) ، وتقوم على عدد من المبادئ والمعتقدات التي امتد بعضها إلى حركات وتوجهات لاحقة، من أبرزها ما يلي:

١. الاعتقاد بأن للطبيعة البشرية قدرات خارقة لا يستخدم البشر سوى جزء يسير منها.
٢. أن روح الفرد هي جزء من الروح الكلي.
٣. تقديس الطبيعة، والاعتقاد بإلهية العالم.

٤. الاعتقاد بأن تحقيق النجاة المطلقة (الخلاص) ليس خاضعاً لأي أمر خارجي (دين أو سلوك)، بل يمكن تحصيله بالالتفات إلى "الداخل" حيث الطبيعة الإلهية. كما يمكن للإنسان – باكتشاف تلك الإلهية الكامنة- تحوير المجتمع، والارتقاء به.
٥. تضفي الفلسفة المتعالية على العقل البشري والفكر المجرد صفة الفاعلية المؤثرة، وتنسب إليه القدرة على تغيير العالم بأفكاره[٣].

(٢) **الروحية أو المذهب الروحي** (Spiritualism):

ويمكن تعريفها –بشكل ميسر- بأنها: الاعتقاد بإمكانية التواصل مع أرواح الموتى. وقد كانت من أشهر التوجهات الفكرية في القرن التاسع عشر. وهذا المذهب –وإن كان قد امتزج بعدد من الحركات الأخرى- يعتبر مذهباً مستقلاً عن غيره لا يزال موجوداً حتى اليوم، ويعد **إدغر كيسي** من أبرز رموزه.

(٣) **الثيوصوفي** (Theosophy):

تأسست جمعية الثيوصوفي على يد "**مدام بلافاتسكي**"، واسمها **هِلِنا بتروفينا بلافاتسكي**، ولدت في روسيا عام ١٨٣١م ، وبدأت دعواها بالتواصل مع الأرواح، والتمكن من إيصال أقوالهم إلى الناس أثناء إقامتها في القاهرة في بداية سبعينيات القرن التاسع عشر، ولكن إقامتها في مصر لم تطل، حيث انتقلت إلى الولايات المتحدة في عام ١٨٧٣م، وهناك انفتحت لها أبواب الشهرة، وأصبح عملها في تحضير الأرواح مهنة.

زعمت **بلافاتسكي** في بعض مؤلفاتها أن الرسالة التي تلقتها بطرق استسرارية، وجاءت لتنشرها، هي – في الحقيقة – جوهر جميع الأديان، وهي المبادئ التي سبقت وجودها في قديم الزمان. ومن أبرز مبادئ الثيوصوفي:

[٣] إن المقصود هنا ليس تغيير العالم من خلال النتائج العملية للفكر الإنسان، وما يتوصل إليه من نتائج ومخترعات –فهذا لا ينكره عاقل، وإنما المقصود التأثير في البيئة الخارجية بمجرد السيطرة على الحالة الذهنية، والتحكم بالفكر. وهي معتقدات مستقاة من بعض المدارس الهندوسية التي تجعل العالم وهماً ليس له وجود إلا بالذهن.

١. دمج الفلسفات الشرقية في الفكر الغربي، وهم يستمدون كثيراً من المصطلحات من مصادر هندية، لاسيما مبدأي الـ كارما وتناسخ الأرواح.
٢. دعوى أن الحقيقة مشتركة متحدة غير متعددة، فالديانات المختلفة في أنحاء العالم متفقة في الجوهر وإن اختلفت في المظهر، إذ المظاهر الدينية ليست سوى تجسيدات منحرفة لحقيقة الدين الباطنة.
٣. مصدر الوجود في الفكر الثيوصوفي دوري ذاتي يتحدد وفق قوانين النشوء والارتقاء، فهو ليس صادراً عن ذات مباينة ولا هو مُوجَدٌ من العدم، وكل ما في الوجود هو نتيجة تطور وجود سابق.
٤. تحقيق الخلاص فليس منوطاً بالأعمال الصالحة، وليس له تعلق بالإيمان أو الاعتقاد، وإنما يتحقق بالتوصل إلى مراتب عالية من "الوعي" تتأتى من خلال اتباع أساليب التهذيب المحددة، وتحصيل الأسرار الباطنية، حيث يعتبر تحقيق الاستنارة، أو الإشراق من أهم أهداف الثيوصوفي ومذهب الروحية.

ولذلك فإن الثيوصوفي تعتبر تطبيقاً غربياً للفكر الباطني والفلسفات الشرقية.

(٤) حركة «الفكر الجديد» (New Thought Movement):

لم يعد للمذهب الروحي ولا الثيوصوفي وجود بارز في القرن العشرين، إلا أن بعض أفكارهما امتدت خلال حركة "الفكر الجديد"، فقد اشتركت مع الثيوصوفي في السعي لتحقيق أخوة إنسانية عالمية، ونشر ثقافة وحدة الأديان.

ظهرت حركة "الفكر الجديد" في الولايات المتحدة الأميركية، وهي حركة فكرية روحانية تجمع بين طوائف متعددة تحمل مبادئ مشتركة حول أثر التفكير الإيجابي، وقانون الجذب، وتعظيم القدرات البشرية الكامنة، والاعتقاد بطاقة الحياة الفلسفية الباطنية، وغيرها. كما ترجع مسؤولية المرض والشفاء على الفرد نفسه، وتجعل الفكر المجرد قادر على تشكيل الواقع وخلقه.

ظهرت تسمية "الفكر الجديد" في تسعينيات القرن التاسع عشر، وتحددت معالم هذا الفكر مع بداية الحرب العالمية الأولى، ورغم أن المقر الرئيس للحركة يكمن في الولايات المتحدة، إلا أن الجماعات التابعة لها تنتشر في أنحاء العالم.

لقد كان من أشهر مطبوعات "الفكر الجديد" – التي تمثل أفكار الحركة —كتاب مكون من ثلاثة

مجلدات، اسمه: دورة في المعجزات (A Course in Miracles)، وهو من جملة الكتب التي أملتها "الأرواح"، حيث تدَّعي مؤلفته **د.هِلِن شُوكمن** أنها سمعت صوتاً يقول لها: (هذه دورة في المعجزات، الرجاء تقييد المعلومات**!**)، وذلك بعد أن تعرضت لسلسلة من الأحلام والرؤى الغريبة.

يعتبر هذا النص – عند بعض الباحثين – الصورة النصرانية لمدرسة الفيدانتا الهندوسية، ولعل من أهم النقاط التي يُعرَّجُ عليها في هذه "الدورة" ما يلي:

١. أن البشرية تستحق العقوبة لاعتقادها بانفصالها الدائم عن الإله.
٢. أن هذا الانفصال أصبح واقعاً بسبب ما يعتقده الناس حقاً، ولا بد من علاج هذا الخطأ بإدراك الحقيقة الإلهية للذات البشرية.
٣. أن الهدف من الدورة هو نشر الحب الإلهي بين الناس لإيقاظ وشفاء الآخرين.

المبحث الثالث: خصائص الروحانية الحديثة وأبرز رموزها .

أولا : أبرز خصائص الروحانية الحديثة.

يمكننا تحديد أبرز خصائص الروحانية الحديثة – والتي تميزها كتيار فكري مستقل – فيما يلي :

- الاهتمام بما وراء الطبيعة ، وما يجاوز المحسوس المادي .
- الثورة على العلمانية والإلحاد المادي الصرف .
- محاربة الأصولية الدينية وما يوصف بالتدين "التقليدي" ، مع إظهارهم لقبول الدين .
- تحديد الهداية الروحية بالمصادر الداخلية الذاتية وهيمنتها على "الوحي" النبوي .
- البحث الذاتي عن الحقائق الروحية و"المعنى".
- توسيع دائرة المقدس ليشمل كل شيء .
- التأثر الواضح بالفلسفات الشرقية في كثير من الأحيان .
- الانتقائية والتلفيقية في منهج التلقي والتقرير .
- التهوين من نواتج العلم الحديث وعدم الانضباط بمنهجيته .
- حمل المصطلحات الدينية والمفاهيم العلمية الحديثة على المبادئ الروحانية .
- التسويق والطابع الربحي التجاري .

ثانيًا : أبرز رموز الروحانية الحديثة في الغرب .

عند الحديث عن أبرز رموز الروحانية الحديثة في الغرب، سنجد أن كثير منهم ليسوا من "الغرب" أصلا، وإنما هم شخصيات ذات أصول شرقية، وتُضمّن الثقافة الهندية في طرحهم بشكل واضح وصريح. وإنما تمت نسبتهم إلى الغرب باعتبار شهرتهم هناك وحمل بعضهم للجنسيات الغربية، ولأن الشريحة المتلقية لرسالتهم هي شريحة غربية بالدرجة الأولى، مع وجود المئات من أمثالهم يعملون في البيئات الشرقية، وتأثيرهم قاصر على تلك المناطق، فلا يهمنا تناولهم بالتعريف لعدم تأثر الغرب – والعرب تبعا لهم – بهم .

وفيما يلي تعريف بأبرز تلك الشخصيات، لا على سبيل الحصر:

(١) أوشو :

هو معلم هندي شهير اسمه "**شري راجنيش**" ، ولد في الهند عام ١٩٣١ ﻫ لأسرة جينية، وكان يوصف بأنه معلم روحاني صوفي مثير للجدل أثناء حياته. ادعي **أوشو** أنه حقق "الاستنارة" بعد تجربة باطنية حصلت له أثناء جلوسة تحت شجرة في إحدى الحدائق وعمره ٢١ سنة.

حصل **راجنيش** على الشهادة الجامعية والماجستير في الفلسفة، وتنقل بين أنحاء الهند –في الستينيات الميلادية– ليلقى محاضرات انتقد فيها **غاندي** والاشتراكية والتقاليد الهندوسية، مشجعا على الانفتاح الجنسي على وجه الخصوص، والذي لم يكن مقبولا في بلده تلك الفترة.

كان يدرّس في جامعة ساجار، ولكنه أحيل للنقل منها لاعتقاد الإدارة بخطره على أخلاق الطلاب وأفكارهم ومعتقداتهم، ثم فُصل من التدريس الجامعي نهائيا –أو استقال بناء على طلب الجامعة– في عام ١٩٧٠م. وفي ذلك العام بدأ **أوشو** يستقطب الأتباع في بومباي، وبدأ يتوسع في طرحه ليتناول قراءة جديدة للنصوص الدينية وكتابات الفلاسفة والمتصوفة حول العالم. وخلال هذه الفترة أنشأ مؤسسته و"المعبد" Ashram التابع له، وبدأ باستقبال الزوار المحليين والغربيين على حد سواء، ومن هنا بدأت جماعته الغربية بالتشكل، ولكنه تم التضييق عليه من قبل الحكومة الهندية آنذاك مما أعاق نموه وتوسعه،

فانتقل إلى الولايات المتحدة عام ١٩٨١م، وأسس فيها منشأة "راجنيشبورام"، ولكنه سرعان ما رُحّل من أمريكا لعدد من الشكاوى والتهم القانونية والقضائية، ورفضت استقباله ٢١ دولة طلب اللجوء إليها، حتى عاد إلى الهند واستأنف أعماله فيها، إلى أن هلك فيها عام ١٩٩٠م وعمره ٥٨ سنة، وكتب على ضريحه: "أوشو: لم يولد ولم يمت، فقط زار كوكب الأرض من ١٩٣١-١٩٩٠م". وقد ازدادت شهرته بشكل ملحوظ بعد وفاته.

امتازت محاضرات **أوشو** بكثرة الطرف وعدم الجدية، وهي صفات غير معتاده لمعلم "مستنير"، ولكنه ادعى أن هذا أسلوبه لدفع الناس لتجاوز "العقل"، وقد كان يتناول في أحاديثه عددًا من الفلسفات الروحانية، كالجينية والهندوسية والبوذية والطاوية، ويكثر النقل عن الفلاسفة والمتصوفة في الشرق والغرب.

من أبرز معتقداته :

١. وحدة الوجود: وهو يقرر هذا المعتقد بتكرار في مقالاته، وله عبارة شهيرة: "الإله والشيطان وجهان لعملة واحدة".
٢. وحدة الأديان، والتحرر من كل دين منظم له طقوس ومعتقدات، وهو من المفارقات العجيبة حيث إن أتباعه لهم معتقدات وطقوس تميزهم.
٣. الإيجو (الـ أنا المزيفة) والعقل : فيعتقد أوشو أن في داخل كل إنسان "بوذا" وأن لديه القابلية للاستنارة، ولكن الإيجو -الذي صنعته القوالب الاجتماعية والهوية الوهمية- يحول دون ذلك. كما يرى أن العقل -رغم حاجة الإنسان إليه- يحول دون السعادة، فالتفكير يقيد الإنسان والواجب لتحقيق السعادة -عنده- هو أن يتقبل الإنسان نفسه بلا شروط، وهذا غير ممكن بالتفكير، فلزم لذلك اللجوء للتأمل.
٤. التأمل : ويعتبر من الممارسات المركزية في تعاليم أوشو، فله أكثر من ١٠٠ أسلوب تأمل أشهرها على الإطلاق التأمل الديناميكي Dynamic Meditation الذي يبدو كأنه ضرب من الجنون.
٥. لأوشو عشر "وصايا" هي كالتالي :
   - لا تطع أمر أحد أبدا، إلا ما أتى من داخل نفسك.
   - لا إله إلا الحياة.

- الحقيقة في داخلك، لا تبحث عنها في مكان آخر.
- الحب هو الصلاة.
- أن تصبح الـ لا شيء هو بوابة الحقيقة، الـ لا شيء هو السبيل والغاية والمحصلة.
- الحياة هنا والآن.
- عش بيقظة.
- لا تسبح، اطفُ .
- مت في كل لحظة لتتجدد في كل لحظة.
- لا تبحث، فما هو كائن كائن. توقف وشاهد .

لم يؤلف **أوشو** أي من كتبه التي تبلغ المئات، وإنما هي محاضرات شفهية قام تلاميذه بتفريغها ونشرها، وقد ترجم عدد منها للغة العربية.

(٢) مهاريشي يوغي:

لا يُعرف الكثير عن المراحل المبكرة من حياة **مهاريشي**، ولكن أكثر المصادر تشير إلى أنه راهب هندوسي ولد في عام ١٩١١م. وبعد أن توفي معلمه **غورو ديف** عام ١٩٥٢م دخل **مهاريشي** في عزلة تامة لمدة عامين، قام بعدها بتنظيم حركة تقوم بنشر "التأمل التجاوزي" في أنحاء العالم. واجتهد في نشر اعتقاداته إلى أن استطاع أن ينشئ مراكز التأمل التجاوزي في أنحاء متعددة من أوروبا وأمريكا.

التأمل التجاوزي –الذي قام المهاريشي بنشره– هو نوع من أنواع التأمل الهندوسي، يوصف بأنه: تقنية عقلية تتيح للعقل تجربة مراحل أكثر نقاوة من الفكر، بشكل تدريجي، حتى يصل إلى مصدر الفكر (الوعي الخالص). يُعطى كل متدرب "مانترا" (Mantra) خاصة به، يصل من خلال ترديدها إلى تلك المراحل المتقدمة من الوعي.

تعود أصول التأمل التجاوزي إلى النصوص الفيدية المقدسة عند الهندوس. وبحسب ما يقرره **المهاريشي** فإن إحياء هذه الفلسفة قد حصل أربع مرات عبر التاريخ:

١. في تعاليم الإله الهندوسي: **كرشنا**.
٢. ثم في تعاليم **بوذا**.
٣. ثم في تعاليم **شانكارا**.
٤. وأخيراً في تعاليم **غورو ديف** المعلم الخاص لـ مهاريشي، الذي أوصى بإيصال "الاستنارة" الهندوسية إلى البشرية جمعاء.

وبعد وفاة المعلِّم قام **مهاريشي** بحمل رسالته، فابتكر طريقة التأمل التجاوزي لتحقيق هدف الاستنارة العالمية، والتي هي — في الحقيقة — عودة بالبشر إلى ضلالات وحدة الوجود.

في عام ١٩٥٨م أعلم **مهاريشي** عزمه على نشر رسالته الهدامة حول العالم، فكانت البداية في الولايات المتحدة، لكن لما أدرك مهاريشي أن الأوضاع في أميركا مختلفة عنها في موطنه الهند، إذ لم تكن الدعوات ذات الطابع "الديني" مقبولة على الصعيد الرسمي، اضطُر إلى إطلاق التسميات الموهمة ليضمن رواج دعوته، وقد نجح في ذلك حتى أتيح له التحدث والإلقاء في أكثر الجامعات الأميركية شهرة.

بعدها انتشرت مراكز التأمل التجاوزي في أنحاء الولايات المتحدة وتأسست بها (جامعة مهاريشي العالمية)، وهي جامعة قائمة على فلسفته تعمل على تخريج مدربين للتأمل التجاوزي. كما أُنشئت معاهد، وقنوات تلفزيونية، وكتب ومنشورات تقدر بملايين الدولارات، أُخذت من جيوب الأمريكان السُّذَّج اللاهثين وراء السعادة. ورغم التعتيم الذي تحرص عليه الحركة مازال كثير من الباحثين الغربيين يرون أن المهاريشية حركة دينية جاء بها مهاريشي إلى الغرب.

قام مهاريشي بتوجيه دعوته إلى الشرق الأوسط في عام ٢٠٠٤م عبر قناة العربية الإخبارية، زاعماً أنه عند تجنيد ثمانية آلاف شخص للتدرب على التأمل ستُحل جميع المشاكل المزمنة للمنطقة، وطرح اقتراحه على أنه الخيار الوحيد أمام أبناء الشرق الأوسط لحل أزماتهم، وإلا فليس أمامهم سوى "الصواريخ والدمار"!

إن الأصول الهندوسية التي يعتمد عليها التأمل التجاوزي كثيرة ومتشعبة، ولكن يمكن تلخيص أبرزها فيما يلي:

١. عدم التركيز على الاعتقاد في مقابل السلوك. وهو ظاهر في دعوة **مهاريشي** حيث لا يأمر أتباعه بتغيير أديانهم، وإنما بدمج تعليماته فيها.
٢. أن "الحقيقة" لا يمكن أن تُعرف ولكن لا بد أن تختبر (تُحس، أو تُجرب)، فلا يُكتفى بمعرفة الحقيقة بل لا بد أن تكون أنت وهي شيئاً واحداً.
٣. وحدة الوجود: حيث يصرح **مهاريشي** بأن كل ما في الوجود واحد، وأن الإنسان في حقيقته لا شخصي. ومن أجل الاتحاد بالكون المطلق لا بد من ممارسة التأمل التجاوزي.
٤. كما جعل **مهاريشي** للوعي سبعة مستويات: "اليقظة، الحلم، النوم، الوعي المتجاوز، الوعي الكوني، الوعي الإلهي، الوعي الواحدي (بالوحدة)".

(٣) ديباك شوبرا:

هو طبيب أميركي من أصل هندي وكاتب ذو شعبية من أبرز رموز التيار الروحاني. تتلمذ على يد **مهاريشي يوغي** في التأمل التجاوزي، وترقى سريعاً إلى مراتب عالية، ولكن **شوبرا** ترك المؤسسة بعد أن رأى **مهاريشي** أنه – أي **شوبرا** – يشكل منافساً لسلطته.

أسس **ديباك** (مركز شوبرا للصحة العامة) في ولاية كاليفورنيا، وبقي مخلصاً لجذوره الدينية يدمجها في تعاليمه الحديثة، حيث يجعل **شوبرا** منشأ الشفاء والمرض في الفكر، فالوجود الجسماني – حسب رأيه – مخلوق لـ "الوعي"، معتمداً في رأيه على فلسفة الـ أيورفيدا الهندوسية.

لقد واجه **ديباك شوبرا** انتقاداً واسعاً من الأوساط العلمية لإقحامه آراء فلسفية غير ثابتة في العلوم الطبية التجريبية، ولإحالته إلى النظريات الكمية في العملية العلاجية، وتفسيرها تفسيراً فلسفياً باطنياً، إلا أن ذلك لم يؤثر على شعبيته، بل أعلنته مجلة تايم الأميركية عام ١٩٩٩م أحد أبرز مائة رمز وبطل في القرن العشرين، وأسمته "نبي الطب البديل".

يُصرَّح **شوبرا** في مواضع متعددة من كتاباته ومقاطعه المرئية بأن الإنسان هو "الإله"، وقد أصبحت شهرته وشعبيته تتزايد – وللأسف – في البلدان العربية ، وفي الخليج العربي على وجه الخصوص. فهناك مجموعات تعمل على خدمة وترجمة محاضراته ولقاءاته ونشرها عبر مواقع شهيرة على الشبكة العالمية، بل إنه قد تمت استضافته للإلقاء في كل من البحرين والإمارات في شهر فبراير وشهر سبتمبر من عام ٢٠١٣م، وفي المملكة السعودية في عام ١٤٣٨ هـ، وظهر احتفاء كثير من المعجبين به وفكره الفلسفي المنحرف.

ومن أبرز معتقداته الباطنية ما يلي :

١. يرى **ديباك** أن الإنسان إله مُقنّع، وأن بداخله إله في حالة جنينية، والنجاح يتمثل في كشف هذا الإلهية حيث يقول:" سنبقى غير محققين لذواتنا حتى نغذّي بذور الإلهية التي بدواخلنا، في الحقيقة نحن إلهية مقنّعة، وأجنة الآلهة والإلـهات التي بداخلنا تسعى لأن تتجسد بشكل كامل، فالنجاح الحقيق هو تجربة المعجزات. إنه تجلي الألوهية بداخنا".
٢. اكتشاف (الذات العليا) أو الروحانية عند **ديباك** هو الكشف عن "ألوهية" الإنسان، يقول :"كل واحدٍ منا وجد هنا ليكتشف ذاته العليا، أو ذاته الروحانية، هذا أول ما يحققه قانون دهارما، يجب أن نكتشف بأنفسنا أن بداخل كل منا جنين إله أو إلهة يريد أن يولد لكي نعبّر عن إلهيتنا. "
٣. عندما يتجاوز الإنسان مفاهيم الخير والشر يرى **ديباك** أن الإجابة على (من صنعك ؟) هي (أنت)**!** حيث يقول: "أي أحد استكشف الخلق إلى حد تجاوزه الضوء والظلال، والداخل والخارج فقد اتصل بالإله. عند تلك النقطة أنت وخالقك تشتركون في ذات الحب. ويبقى الجواب الوحيد على السؤال (من أوجدني؟) هو (أنا أوجدت نفسي). "
٤. يصرح **ديباك** بعقيدة وحدة الوجود، وأن الإله في كل شيء .تعالى الله عن قوله .حيث يقول: "ليس ثمة مكان لا يوجد فيه الإله . "
٥. الاستنارة والوعي المتقدم عند ديباك وأتباعه هو الاعتقاد بوحدة الوجود، يقول: "يسمى المستوى السابع والأخير من الوعي والهدف الأسمى: وعي الوحدة، ويمكن تسميته الاستنارة. في وعي الوحدة تندمج الروح التي في الواعي والروح التي فيما يعيه وتصبح واحدة. عندما يحدث هذا تصبح ترى العالم على

أنه امتداد لوجودك. هناك تحول تام من الذات الشخصية إلى الذات الكونية. في هذه المرحلة تكون الخوارق مألوفة.. أنت الروح التي كانت منذ الأزل وستبقى إلى الأبد. "

٦. غاية الإنسان –باعتقاد **ديباك**– هي اكتشاف ذاته العليا، والهدف من وجود الإنسان يتحقق بتجلي ألوهيته. يقول:" إن غايتك القصوى هي أن تكتشف ذاتك العليا أن تتعقب الإله أو الآلهة التي بداخلك، والتي تريد أن تعبر عن الهدف المقدس الذي من أجله ولدت. "

٧. وضح **ديباك** في كتاب له عن اليوغا أن الهدف منها هو تحقيق الاتحاد بالإله. يقول: "اليوقا –في صميمها– تعني الوحدة. الوحدة بين الجسد والعقل والروح، والوحدة بين الـ أنا والروح والوحدة بين الأرضي والإلهي. "

٨. الحق نسبي في فلسفة **ديباك،** فلا وجود للحق المطلق، يقول "بالاعتراف بأن الحق يختلف باختلاف الأشخاص تلتزم باختيارات داعمة للحياة، تتماشى مع نظرة موسعة للذات. "

٩. يعتقد ديباك بنسبية الفضائل وعند التوصل لـ "سمو" تتلاشى الفروق بين الخير والشر، يقول: "السمو يزيل قيود الحياة، لا يوجد شيء يخشى ولا شيء يشعرك بالتأنيب. إن قضية الخير ضد الشر تختفي بأكملها. "

١٠. الخير والشر عند **ديباك** وجهان لعملة واحدة ينقله عن الإله الهندوسي كريشنا مؤيداً له، فيقول:"يخبر كريشنا أرجونا عن جوهر اليوغا، أن الخير والشر اللذة والألم الخسارة والكسب هما وجهان لعملة واحدة" .

(٤) إكهارت تولي :

ولد **إكهارت تولي** في عام ١٩٤٨م في ألمانيا، ثم انتقل إلى أسبانيا وعمره ثلاث عشرة سنة، وقد عاش أكثر شبابه يصارع الاكتئاب الحاد. ولما أتم تسعة وعشرين عاماً أصيب بنوبة شديدة من الاكتئاب دفعته إلى التفكر في ذاته، وما تعانيه من آلام، حتى توصل إلى إنكار تلك الذات، ثم زعم أنه عاش بعدها في سعادة وسلام حيث لم يعد له وجود ليحس بالألم، فهو مجرد مراقب. أصبح **إكهارت** يقضي أوقاتاً

طويلة يراقب الناس في شوارع لندن، وفي المعابد البوذية، ويبيت في المنتزهات الخارجية، حتى وصفه أهله بالجنون.

مرت الأيام سريعاً، حتى أصبح الرجل التائه الضعيف معلماً روحانياً يقصده الناس من شتى بقاع الأرض. وفي عام ١٩٩٥م انتقل **إكهارت** تولي إلى الولايات المتحدة، وهناك ألف كتابه الأول: (قوة اللحظة) أو (قوة الآن) (The Power of Now) والذي ترجم إلى أربع وثلاثين لغة منها العربية. يبين **تولي** في هذا الكتاب توجهاته الفلسفية، فيتحدث عن التعاليم الروحية التي تتجاوز الزمان، وتمثل حقيقة كل الأديان، وقد أشار إلى الديانات الشرقية والتصوف وإلى كتاب "دورة المعجزات".

وقد بات عدد من "المدربين" في الخليج يكثرون من الاستشهاد بأقواله الفلسفية، ويحيلون إلى قراءة كتبه التي تغص بالتعاليم الباطنية، والفلسفات الكفرية، كالقول بوحدة الوجود، وتأليه الذات. كما يعمل بعض معجبيه على ترجمة محاضراته إلى اللغة العربية ونشرها – مع محاضرات **ديباك** – على شبكة الإنترنت.

(٥) واين داير:

واين داير متحدث أميركي ومؤلف في "تنمية الذات"، اتجه إلى الطرح الروحاني الباطني في التسعينات الميلادية، وقام بتأليف عدد كبير من الكتب والمؤلفات، تمت ترجمة بعضها إلى اللغة العربية، وللرجل معجبون كثر في العالم العربي .

لا يتورع **واين داير** عن التصريح بمعتقده في الإله، وأنه لا وجود لإله خارج الذات، وأن البشر كلهم ذات الإله.

"

> **Hemachandra** : *So, just to be really clear,what"s the biggest thing people need to learn in order to help them get beyond the excuses?*
>
> **Dyer** : <u>*The need to know that they are God*</u>*. We mostly do not recognize that. We've lost the sense of our own divinity. We think that we're separate from God, but we can't be . We must be like what we came from, and we came from an infinite, loving, kind, beautiful Source.*

We've forgotten that. So, you have to recognize that God isn't something outside of you –a cosmic bellboy to whom you pray in order to get this or that if you do the right things. Those kinds of understandings are all ego talk .Everybody-you, me, Osama bin Laden ,Adolf Hitler-we all came from the source. Then we on these egos and began to practice all kinds of things based in not having reverence for life, whereas that which is God has reverence for all life. All excuses are nothing more that misalignments with God. Just imagine the great creative source needing an excuse. It doesn't have any concept of "I'm too busy. I'm too old. I'm too afraid. Things are going to take too long " Source doesn't work like that . The Tao does nothing, Lao-tzu writes, but it leaves nothing undone.

"

ويجعل قيود الـ أنا أو "الإيجو" هي ما يمنع الإنسان من إدراك حقيقته الإلهية.

"

The ego-idea has been with us ever since we began to think. It sends us false messages about our nature. It leads us to make assumptions about what will make us happy and we end up frustrated. It pushes us to promote our self-importance while we yearn for a deeper and richer life experience. It causes us to fall into the void of self-absorption again, not knowing that we need only shed the false idea of who we are. Our true self is eternal. It is the God force within us. The way of our higher self is to reflect our inner reality rather than the outer illusion .

"

(٦) أوبرا وينفري :

هي إعلامية أمريكية توصف بأنها "ملكة الإعلام" و "أكثر النساء تأثيرًا في العالم"، قامت بإنشاء قناة تلفزيونية تحمل اسمها (OWN : Oprah Winfrey Network) ، بعد أن توقف برنامجها الحواري الشهير والذي استمر لمدة ٢٥موسمًا في عام ٢٠١١م.

ورغم أن **أوبرا** تتبنى كثير من المعتقدات الروحانية الباطنية منذ عدة عقود إلا أن ميولها الروحاني بات شديد الظهور في قناتها الجديدة، حيث تكررت استضافتها لرواد الباطنية الحديثة في العالم الغربي ، وأصبحت من أكبر المنابر الإعلامية التي تروج لمؤلفاتهم ومعتقداتهم . ومن أبرز هؤلاء:

- **ديباك شوبرا** (ولها معه برامج مشتركة وأنشطة متعددة)
- **إكهارت تولي** (ولها حلقات عديدة مكرسة لكتابه: "أرض جديدة")
- **واين داير** .

أما أقوالها المعبرة عن معتقداتها الباطنية المنحرفة فمنتشرة في برامجها الحديثة، وقد ذكرت أبرزها في سلسلة Belief على قناتها على اليوتوب OWN:

١. حول اعتقادها بوحدة الوجود: تقول "أنا أؤمن بأن الله هو الحب، وأن الإله موجود في كل شيء".
٢. حول اعتقادها بالغنوص : تقول "الإله هو تجربة شعورية، وليس تجربة إيمانية اعتقادية، فإذا كان دينك الذي تدين به دين إيمان ، وإذا كان الإله بالنسبة إليك لا يزال شيء تؤمن به فهو ليس الإله الحق".
٣. حول اعتقادها بتأليه الذات: تقول "الروح هي جزئك الذي يعلم باتصالك بروح كل كل شيء، الروح هي جزئك الذي يدرك أنه جزء من الإله".
٤. حول اعتقادها بتأليه "الطاقة": تقول "أؤمن بأن الطاقة هي كل شيء، أؤمن بأن الطاقة في كل شيء، وكل شيء يوجد كطاقة، وعبر الطاقة، وبسبب الطاقة. الطاقة هي : هو".
٥. حول اعتقادها بوحدة الأديان: تقول "هناك طرق متعددة لما يسمى الإله، طريق شخص آخر قد يختلف عن طريقك.. لا يمكن أن يكون هناك طريق واحد فقط".

رابعًا : أبرز المتأثرين بالروحانية الحديثة في العالم العربي.

(١) صلاح الراشد وتلاميذه .

ولد **صلاح الراشد** في بلدة كيفان بالكويت عام ١٩٦٩ م ، وفيها نشأ. كان قارئا للقرآن في بداية حياته، وتولى إمامة مسجد في الثمانينات الميلادية. سافر إلى الولايات المتحدة لدراسة الجامعة، وتابع دراسة الماجستير والدكتوراه في جامعة متشغن، وكان عضوا في مجلس إدارة المركز الإسلامي هناك عام ١٩٨٩م.

حصل – في وقت مبكر – على شهادات ممارس في البرمجة اللغوية العصبية ، وخط الزمن ، والتنويم الإيحائي من المملكة المتحدة، وكان من أوائل المروجين لها في العالم العربي حيث عقد أول دورة جماهيرية للبرمجة في الكويت عام ١٩٩٤م. والذي يظهر هو أن البرمجة اللغوية العصبية شكلت نقطة تحول في فكر الراشد، وكانت الخطوة الأولى في تخليه عن المنهج "السلفي"، وتبنية للأفكار الباطنية الحديثة.

يعد إنشاء "مركز الراشد"، بالسالمية عام ١٩٩٦م، بداية العمل المنظم **لصلاح الراشد** ودعوته لأفكاره بشكل ممنهج، بعدها أطلق موقعه الرسمي في عام ١٩٩٧م ، ولكن إشكالاته الفكرية والعقدية لم تكن بالوضوح ولا الانحراف التي وصلت إليه اليوم. فقد كان الظاهر في أطروحاته حتى عام ٢٠٠٣م التأثر بالـ NLP فحسب، مع وجود شيء من آثار فلسفة "الطاقة الكونية" كأجهزة قياس "الطاقة"، وجلسات تحليل الهالة الطاقية أو "الأورا". لكن في عام ٢٠٠٣ م بدأ الجانب الفلسفي الباطني يظهر في طرح **صلاح** بشكل أوضح، متمثلا في مجموعة مقالات نُشرت في مجلة (فواصل)، أطلق عليها عنوان : (على أبواب الملحمة)، حيث كانت تُروى بصيغة روائية، وتحكي تعاليم مُعلّم سري في سريلانكا سماه "العلامة عليم الدين" ، ومحاورات بينه وبين خاصة طلابه ومنهم **صلاح الراشد** . وقد صرّح **الراشد** مؤخرًا – في عام ٢٠١٣م تحديدا – أن **فريدريك دودسن** هو أحد أبطال "الرواية". ثم جُمعت هذه المقالات ونُشرت في كتاب مستقل عام ٢٠٠٧م .

في عام ٢٠٠٤م بدأ البث الفضائي لمركز الراشد على قناة Smartsway الفضائية، ولكنها توقفت عن البث في عام ٢٠١٢م ، وتحولت إلى البث المباشر عبر الشبكة وإلى قناة خاصة على "اليوتوب". وقد بدأ الفكر الفلسفي **لصلاح الراشد** يتجلى عبر حلقات (رسالة من الكون) على القناة في عام ٢٠٠٨ م .

ثم في عام ٢٠٠٩م أصدر **صلاح** ألبوم (قانون الجذب : النظرية والتطبيق لأخطر قانون كوني)، والذي قد يعد إضافة مهمة جدًا لتنظيره الفلسفي .

وفي عام ٢٠١١م أنشأ **الراشد** شركة سلام إنترناشونال، وما تفرع عنها من مجموعات سلام التي انتشرت في أكثر من ٤٠ مدينة حول العالم .

وفي العام نفسه أنشأ (نادي جوي ١٢) لتعليم ١٢ مستوى فكري ، وهو ما تحول إلى أخطر مشاريع **صلاح الراشد** على الإطلاق : (الأكاديمية الدولية للتنمية الذاتية).

وقد بدأ مركز الراشد – في عام ٢٠١٣م – بتنظيم ملتقى دولي أطلقوا عليه (قمة الشرق الأوسط للتنمية الذاتية) يستضيف فيه **د. صلاح** رموز الروحانية الباطنية من شتى أنحاء العالم في الكويت والإمارات العربية المتحدة.

من أبرز البرامج الإعلامية التي قدمها : رسالة من الكون، برنامج كبتشينو ، وبرنامج لاتيه ، وبرنامج خذها قاعدة. وأبرز المؤلفات : مهارات الاتصال الفعال (NLP)، فك شفرة الأعراض والأمراض، كيف تخطط لحياتك؟، على أبواب الملحمة، قانون الجذب، والسرنديب .

لقد نجح **الراشد** في نشر الأفكار الروحانية عبر أكاديميته و"سفراءها" الذين أصبحوا يقدمون الدورات والأمسيات "التنويرية" في شتى أنحاء العالم، ومن هؤلاء السفراء:

١. محمد الهويدي.
٢. ناصر الجميعة (السعودية).

٣. عبدالعزيز العبيد (الكويت).

٤. نائلة السقاف.

٥. رائد الدوسري.

٦. أسامة الرميان (السعودية)

٧. محمد المنسف .

٨. الهنوف المحيسني.

٩. ابتهال العتيبي.

١٠. سمية الناصر.

١١. فؤاد الحمد

١٢. عصام العسكر

١٣. سارة الفالح

١٤. سعد الدوسري

١٥. خالد الديهان

١٦. فيصل القعود

وغيرهم.

(٢) شخصيات مستقلة تروج للروحانيات الحديثة.

لم يقتصر نشر الفكر الباطني الحديث والروحانيات الشرقية على جهود **صلاح الراشد** وتلاميذه، وإن كان **الراشد** يعتبر "رائدا" في هذا المجال، وله تأثير –يقل ويزيد– على أغلب المنخرطين فيه، فقد ظهر في السنوات الأخيرة رجال لم يتدرجوا في المراحل الممهدة للأفكار الروحانية الصرفة، كالابتداء بالتدريب والبرمجة اللغوية العصبية، أو ممارسات الطاقة وأساليب الشفاء الذاتي، ونحوها. وكأنهم قفزوا مباشرة للطرح

الروحاني الصرف، فاستقوا من المصادر الروحانية الباطنية مباشرة، ككتب **إيكهارت تولي** و **ديباك شوبرا** و **واين داير**، أو حتى من زنادقة المتصوفة كجلال الدين الرومي وابن عربي والحلاج، وقدموا أطروحات روحانية دخيلة وقراءات مبتدعة للدين.

ولهؤلاء -للأسف- حضور إعلامي قوي، وشعبية متزايدة، وشخصيات تجذب المحبين للإغراب، الراغبين في "التفوق" الثقافي، والمتململين من الأساليب التقليدية في الخطاب الديني، خاصة أصحاب التأصيل العقدي والشرعي الضعيف، وإن كان انخدع بالطرح الروحاني ثلة يسيرة من النخب العلمية مما زاد الأمر تلبيسا وغموضًا على عوام الناس.

ولعل من أبرز هؤلاء "المستشار" المعروف **محمد الدحيم**، وهو صاحب شطحات فكرية منذ زمن متقدم، مر بمراحل وتحولات فكرية متنوعة بدأت بالتنوير وانتهت إلى التصوف الروحاني. يعتمد **الدحيم** في طرحه على قاعدة أساسية يبنى عليها جل أقواله وهي إسقاط المنهج السلفي في العقيدة وفهم النصوص، ويؤسس لقراءة جديدة للنص الديني تفقده مدلوله وتجعله كلأ مباحا لكل حاطب ليل يأتي بمذهب تلفيقي شاذ.

يمكن تصنيف **محمد الدحيم** من فئة الروحانين المتأثرين **بأوشو** بدرجة أولى، ثم **بديباك شوبرا وإيكهارت تولي**، حتى إن كلامه يكاد يكون مطابقا لكلامهما في مواضع متعددة. وهو في المقابل ظاهر التأثر بالطرح الصوفي، وبجلال الدين الرومي على وجه الخصوص.

ويمكن إيجاز أبرز الوسائل التي يوظفها في نشر أفكاره بالتالي:

- الدورات التدريبية، وهي لا علاقة لها بالتدريب في الواقع، فهي مجرد محاضرات فكرية وفلسفية تتستر خلف ستار التدريب، ومن ذلك "وعي الحب الإلهي" قواعد العشق الأربعون حول جلال الدين الرومي.
- المقالات الدورية، حيث يكتب في عدد من المنافذ الإعلامية بشكل دوري، ويقرر معتقداته وتوجهاته الدينية والثقافية.
- الإعلام التقليدي والجديد، حيث تمت استضافته في عدد من البرامج التلفزيونية الشعبية، وله نشاط مستمر في وسائل التواصل الاجتماعي كتويتر وانستغرام ونحوهما، ومما يلحظ فيهما كثرة استخدام

الاصطلاحات والتعبيرات الصوفية التي يجهلها عامة الناس، وتمرير البدع العقدية والسلوكية بأسلوب ناعم جذاب.

ومن الشخصيات "المستقلة" **د.وليد فتيحي** الذي حقق برنامجه الاحترافي "ومحياي" نجاح كبير، وشهرة واسعة، وهو يكاد يكون منسوخا من مقالات **إيكهارت تولي** وكتاباته، بل قد صرح فتيحي أنه يستفيد منه. ولكن لأن كثير من الناس لا يدرك أبعاد المصطلحات والعبارات المستخدمة في البرنامج ، فإنه لا يستطيع ربطها بأصولها الفلسفية في الديانات الشرقية وفي الروحانيات الحديثة .

ومنهم **أحمد عمارة** من مصر، و**ليلى العنزي ومشاري المضاحكة** من الكويت، مع أن طرح هؤلاء أكثر سطحية من سابقهم، ووجود نوع من التواصل مع مؤسسات الراشد وأنشطته.

المبحث الرابع: **مصادر المعرفة عند التيار الروحاني وتجديد التصوف**.

أولا : مصادر المعرفة عند التيار الروحاني الحديث.

يعد تحديد مصادر المعرفة من أهم المبادئ التي تسهم في تشكيل المذهب العقدي، حيث يعتمد عليها كل قول أو تصور يتبناه أصحابه، والخلل في مصادر المعرفة ينتج عنه خلل في كل معتقد يتم استقاؤه من تلك المصادر.

يلخص **ديباك شوبرا** مصادر المعرفة في ثلاث مجالات : عين الجسد، وعين العقل، وعين الروح. ونحن وإن كنا نُسلّم – بالجملة – للمصدرين الأولين فيما هو من مجالهما، إلا أن المصدر الثالث هو محل الإشكال، وهو المصدر الذي لا يمكن ضبطه كما يمكن ذلك في الدعاوى الحسية والافتراضات العقلية.

ويوضح **د. ستفن كلينتون** – في بحثه (الروحانية ونظرية المعرفة) – طرق المعرفة الروحية في النقاط التالية :

١. **الحدس الذاتي**، وهو حصول "المعرفة" للشخص دون أن تنتج عن دليل ولا إثبات ولا منطق عقلي، وبلا إدراك منه لكيفية تحصيل تلك المعرفة.
٢. **الإلهام والوحي الروحي**، وهو تحصيل المعرفة في القلب من قوة غيبية خارجية بلا آلية معروفة.
٣. **التجربة الروحية**، وتتضمن تحصيل "المعرفة" عن طريق سماع نداء أو "صوت"، أو رؤية وكشف في اليقظة أو المنام.

وإذا تفحصنا واقع الشخصيات البارزة في التيار الروحاني، سنجد أن مصادر المعرفة ترتكز – بشكل كبير – على المصدر "الروحي" وتهمش المصدر التجريبي والعقلي، كما نلحظ أن ثمة مصادر فرعية غير التي ذكرها كلينتون، وإن كانت ذات تعلق بها، ومنها:

١. **الوساطة الروحية**، والتواصل مع "الأرواح" لتحصيل المعرفة. وهذا وإن كان نوع من الإلهام أو "الوحي" إلا أنه يختلف عنه من جهة أن الإلهام يقع على النفس بلا نقاش ولا استدعاء، بينما التواصل مع "الأرواح" يُمهد له بطلب ذلك التواصل، ويتضمن نوع من "الحوار" عادة.

٢. **الشخصيات الغامضة،** بحيث يتحدث الروحاني عن معلم له غائب عن أنظار الناس، يحمل علما خارقا للعادة، ولا يستطيع المتلقي تحديد ماهية هذا المعلم، أهو إنسان على الحقيقة أم شخصية افتراضية أم تجربة روحية؟ وذلك لأجل الغموض الشديد الذي يحيط به. ويسمى في كثير من الأحيان الـ غورو Guru.

٣. **التجربة الذاتية والمنفعة الشخصية،** وهذا يكون في باب السببية والاستشفاء على الأغلب، بحيث لا يعتد كثير من أتباع الروحانية بالمنهجية العلمية الدقيقة في ثبوت السببية، وإنما يعتمدون في الإثبات على التجربة الشخصية، وما تحصل به منفعة وإن كان ذلك توهم في كثير من الأحيان. وربما كان هذا النوع هو المقصود بالحس عن بعض الروحانيين.

ثانيا : الروحانية الحديثة في العالم الإسلامي : التصوف الجديد .

تشترك الروحانية الحديثة –الآتية من الغرب– والصوفية الفلسفية المعروفة في الثقافة الإسلامية في تأثرها بالفلسفة والديانات الشرقية، فهي تكاد تكون متطابقة في النظرة للإله والكون والوجود، ولذلك لما وفدت الأفكار والممارسات الروحانية إلى العالم العربي والإسلامي، تقبلتها شريحة من المجتمع مع محاولة دمجها بالمبادئ والمصطلحات الشرعية، فكانت النتيجة هي فلسفة شرقية بثوب إسلامي، وهذا ما كان عليه ملاحدة الصوفية، ولذلك نجد أن هؤلاء "الروحانيون" العرب أصبحوا يفتشون في التاريخ الإسلامي عن تراث أولئك الزنادقة وإعادة بعثه وإحيائه، لما فيه من شبه كبير للنتيجة التي وصلت إليها "أسلمتهم"، فباتوا يطعنون بمنهج السلف، ويقدمون التصوف كقراءة بديلة للدين، محاولين تلميع رموزها، ونقد الوقائع التاريخية التي حبسوا فيها وقتلوا ردة، باعتبارها ظلم وإقصاء للآراء المخالفة للمذهب السائد.

ولعلنا نبرز أوجه الشبه بين الروحانية الحديثة والصوفية لأنها قد لا تظهر لكل مراقب عند أول وهلة :

١. مصادر التلقي : حيث يعتمد كل منهما على المصادر "الروحية" في تحصيل المعرفة الدينية.

٢. محاربة المنهج السلفي : لأنه المنهج القويم الذي به ينضبط التدين وفهم نصوص الشريعة، ومن ثم يفضح الانحرافات لدى تلك التوجهات ويشكل المعيار الذي يكشف محاولاتهم في استغلال النص لتمرير انحرافاتهم.

٣. رموز الصوفية : تشترك الروحانية الحديثة والصوفية في تعظيم زنادقة التصوف، ومن أبرزهم : ابن عربي والحلاج وجلال الدين الرومي.

٤. البدع العقدية : وهي في الغالب بدع مكفرة، كالقول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود، ووحدة الأديان، وإسقاط التكاليف.

٥. البدع السلوكية والتعبدية : حيث أصبح الرقص والمعازف وسائل لسمو الروح وتزكيتها، وظهر الذكر والأوراد الصوفية عند الروحانيون الجدد، فضلا عن تعظيم الأضرحة والقبور، وغير ذلك.

ولأن هذا الباب تطول تفاصيله، سأكتفي بما ذكر لإيضاح المقصود.

المبحث الخامس : الروحانية الحديثة وموقفها من الدين .

أولا : الروحانية الدينية.

تطلق "الروحانية" في السياق الديني – خاصة في الثقافة النصرانية – ويراد بها أسلوب الحياة السلوكي والعقدي الذي يعكس التعاليم الإنجيلية، وربما اعتمد بعضهم في تعريفها على بعض النصوص من الكتاب المقدس. فالحياة الروحانية هي تلك التي تكون خاضعة لإرادة الرب والروح القدس، بخلاف الحياة الخالية من هذا الأثر.

وهذه التي يطلق عليها بعض الباحثين: "الروحانية التقليدية" Traditional Spirituality ، وعلى هذا يكون استخدامها كمرادف لمصطلح "الدين" أو "التدين".

أما في السياق الإسلامي فاستخدام مصطلح الروحانية حادث غير أصيل، ويبدو أن ظهور استخدامه كان في قرابة القرن السابع للهجرة، وأنه من آثار الفكر الصوفي الذي انتشر في تلك الحقبة، وإن كانت المسألة تحتاج إلى مزيد من التحري والبحث.

ولم يُستخدم مصطلح "الروحانية" في التعبير عن المفاهيم الشرعية والمتعلقة بالإسلام بنفس معناه عند النصارى، وإنما جاء للتعبير عن بعض جوانب الدين أو آثاره، حيث يراد به –مثلا– مواضع ازدياد الخشوع والإيمان، وآثار الأزمنة والأمكنة المباركة على القلب أحيانًا، كروحانية رمضان أو روحانية المسجد الحرام، وأحيانًا أخرى يعبر به عن المقاصد الشرعية والأعمال القلبية في مقابل الأعمال والعبادات الظهارة، فينتقد بعضهم: التدين الخالي من الروحانية، يريدون الاهتمام بالمظاهر الدينية فقط، وبعضهم يقول ذلك استهانة بالشعائر الظاهرة.

وعليه فإن التعبير بهذا المصطلح الحادث متفاوت في المفهوم، ومن ثم فهو متفاوت في الحكم، فقد يعبر بالروحانية عن معان شرعية صحيحة، وقد يقال على معان بدعية ليست من الدين في شيء.

ثانيًا : الروحانية الحديثة : في مقابل التدين (التدين البديل).

اشتهرت في الغرب عبارة مختصرة كإجابة على السؤال الذي يطرح في بعض الاستفتاءات العامة: ما هو دينك ؟ فتتاح الإجابة بـ "روحاني غير متدين" Spiritual but not Religious، كخيار بديل لاختيار الدين أو اللادين.

والذين يتصفون بهذا الوصف على أحوال: فمنهم من يرفض جميع الأشكال الدينية ويمقتها، ومنهم من هو أقل تطرفا، ولكنه يفضّل الحرية والتجربة في "السلوك الديني" وعدم التقيد بتعاليم الدين وأسمائه أو الانتماء إلى مؤسساته، ويرى أن التدين لا يكون بالطقوس العلنية وإنما بالممارسات الخاصة، وربما رأوا أن التدين التقليدي (الذي يطلق عادة على الديانات الإبراهيمية) يُفسد ما يسمونه "الروحانية".

تقسم الكاتبة **ليندا ميرسادانتي** الأشخاص الذين يصنفون أنفسهم "روحانيون غير متدينون" إلى ما هو أكثر تفصيلا من ذلك، فتجعلهم على خمسة أقسام، كالتالي :

١. **المنشقون**: وهم الذين سبق انتماؤهم إلى "دين" أو دراستهم له، أو تعاملهم مع أفراده ومؤسساته، ولكنهم يتقصدون عدم الانتماء إليه لأجل تجربة شخصية سيئة، أو لأسباب أخرى انحرفت بهم إلى "الروحانية" اللادينية.

٢. **العرَضيون**: وهم الذين لا تشكل المبادئ الروحانية جزء كبير من حياتهم، وإنما يلجؤون إليها عند الحاجة العارضة، ولذلك تسمى الروحانية العلاجية لتعلقها بالرفاه والصحة والبدنية والنفسية.

٣. **المستكشفون**: تعبر عنهم الكاتبة بسيّاح الروحانية، لأنهم يؤثرون التنقل بين التقاليد الروحانية، ولا يعزمون على البقاء في مذهب واحد بشكل نهائي.

٤. **الباحثون**: وهم الذين يبحثون عما تطمئن له نفوسهم ويستقر عليه اعتقادهم، وقد تكون لهم انتماءات دينية واعتقادية سابقة، كما قد تشكل الروحانية محطة مؤقتة في مسيرتهم البحثية عما يريدون.

٥. **المهاجرون**: وتصفهم **ليندا** بأنهم كالمهاجرين في دولة جديدة، يحملون معهم معتقدات وثقافات سابقة لا تجعلهم ينسجمون كليا أو يشعرون بالاستقرار، مع رغبتهم بتبني الهوية الجديدة، إلا أن التأقلم صعب ويستغرق الوقت والجهد.

ثالثًا : الفرق بين الروحانية والتدين .

هناك فروق متعددة توضح التباين – بل ربما التضاد – بين التدين والروحانية ، يمكن إبرازها في الجدول التالي :

الدين	الروحانية
١. الأديان متعددة، ومختلفة.	١. الروحانية واحدة.
٢. يتكون من طقوس وعقائد.	٢. تسعى للسمو الروحي بلا عقائد.
٣. يتطلب الهداية الخارجية.	٣. يعتمد على الهداية الداخلية.
٤. الخوف جزء من أكثر المعتقدات.	٤. ينفر من الخوف الديني ويستبعده.
٥. يحذر من الذنوب والخطايا.	٥. تشجع عيش اللحظة وعدم الندم على الماضي
٦. التدين ليس هو الإله.	٦. الروحانية هي الوعي المطلق وتعبير عن الإله.
٧. مبني على التسليم.	٧. قائمة على التساؤل والشك.
٨. مبني على القيود والقوانين.	٨. بلا قيود ولا قوانين.
٩. يفرق ويميز بين أتباع الديانات المختلفة.	٩. لا تفرق بين دين وآخر ما دامت باطنية.
١٠. يعتمد على كتاب مقدس.	١٠. تبحث عن القدسية في جميع الكتب.
١١. فيه خضوع وتذلل .	١١. تشجع على الاعتداد والاعتماد على بالنفس
١٢. يخبرك ماذا تفعل.	١٢. تتحدث عن ماذا تكون.
١٣. يميز الذات الفردية.	١٣. تشجع على تجاوز الحدود الفردية.

١٤. يركز على أهمية العبادة.	١٤. تتمركز حول التأملات الشرقية.
١٥. جماعي.	١٥. فردية.
١٦. يتبط بالماضي والحاضر والمستقبل.	١٦. لا تهتم إلا بـ "هنا والآن".
١٧. يعد بالنعيم الأخروي.	١٧. تجعل "الجنة" في داخل الإنسان.

المبحث السادس : الروحانية الحديثة وصلتها بالإلحاد.

مع ما ذكر في المبحث السابق من فروق بين الروحانية الحديثة والدين إلا أنها تشترك معه في صفة تتسبب كثيرا في الخلط بينهما، وهي معارضة كل منهما للعلمانية والإلحاد. فيرى الباحث المتخصص **ديفيد تريسي** أن العالم يشهد ثورة روحية على العلمانية المادية، ويحددها في تيارين اثنين: في الأصولية الدينية، وفي التيار الروحاني الحديث.

لكن الغرب اليوم في مأزق روحي بين نظام علماني أثبت فشله في تلبية الحاجات الروحية الأساسية للإنسان، وبين نظام ديني محرف لم يعد يواكب العصر الذي يعيشون فيه ولا يمتلك آلات إقناع العقل المعاصر، فكانت تلك بيئة خصبة لانتشار مبادئ الروحانية الحديثة وصور "التدين البديل".

أولا : التيار الروحاني والعلم التجريبي .

يمكننا توضيح علاقة الروحانية الحديثة بالعلم التجريبي من جانبين متناقضين، هما:

١. استغلال الروحانيون للعلم التجريبي.
٢. نقدهم للمنهج العلمي.

يتضحان فيما يلي:

الجانب الأول : استغلال الروحانيون للعلم التجريبي .

كثيرا ما يلجأ دعاة الروحانية الحديثة إلى استغلال المسلمات لتمرير دعاواهم، فإما المسلمات الدينية عند المتدينين، أو المسلمات العلمية عند التجريبين. ولهم في ذلك مسلكين :

- الأول : يعمدون إلى النصوص المقدسة – والتي تحظى بقبول عند أتباع الديانة – ويؤلونها وفقا لمقالاتهم الفلسفية، فيستدلون بها على أفكارهم، ويفسرونها لتكون مؤيدة لهم، مع تأكيدهم على عدم صلاحية التفسير الحرفي أو "التقليدي". فيتزامن التحقير من شأن التفسيرات الأصلية مع تقديم

القراءات الفلسفية الجديدة للنص، فيخدم ذلك نشر مبادئهم لأن المتلقي المحب للدين يظن أن هذا الطرح الفلسفي الإلحاي منه ولا يناقضه.

- الثاني : يستغلون النظريات العلمية التي تتسم بالغموض –كنظريات الفيزياء الكمومية– ويجعلونها "دلائل علمية" على مزاعمهم الفلسفية، كما يلبّسون بالمصطلحات العلمية –كالطاقة، والموجات، والذبذبات – عند طرح المعتقدات الروحانية، حتى يظن أن أقوالهم مدعمة بالمنهج العلمي. ويغلب عليهم التطفل على علمين رئيسين: الطب ، والفيزياء ، ولهم بعض التطفلات على علم الأحياء.

ولكن إذا تفحصنا واقع التيار الروحاني، لن نجد كل المنتسبين إليه يهتمون بالتلبيس العلمي، وإنما هي من خصائص بعض رواد حركة العصر الجديد في الغالب، **كديباك شوبرا** ومن نهج نهجه. وهي سمة واضحة جدا في أسلوب **صلاح الراشد** وتلاميذ أكاديميته، حيث يوهم المتلقي بأن ما يطرحه علم سابق لزمانه، وأن الذين يعارضونه هم من ركب المتخلفين الذين يعارضون المستجدات ولا يدركون مدى تداخل الفلسفة الروحانية والعلم التجريبي.

أما **أوشو** و**إيكهارت تولي** –مثلا– فلم يُعرفوا بمثل هذا التطفل العلمي، وإنما يطرحون أفكارهم على حقيقتها، كمبادئ روحانية وسلوكية صوفية، مع سرقة المصطلحات الدينية في بعض الأحيان، ويشبههم في ذلك –من العرب– **محمد الدحيم**.

أسهم التطفل العلمي في نشر المبادئ الروحانية في المجتمعات العربية التي يضعف عندها التفكير النقدي، وتفتقد مهارات تنقيح الأفكار الوافدة وفحصها، وذلك لعدد من العوامل، أوجز أبرزها كالتالي:

١. جهل المتلقي بالمعاني الصحيحة للمصطلحات العلمية، وعدم تصوره للنظريات العلمية على حقيقتها، مما أدى إلى تقبلهم للمعاني والتفسيرات الباطلة.
٢. رغبة بعض الناس بالتميز الاجتماعي والثقافي، وتظاهرهم بفهم النظريات الفيزيائية المعقدة يشبع عندهم هذه الرغبة.
٣. الثقة بالمتحدث، وذلك لأجل أسلوبه المقنع، أو لأجل مظهره وسمته.

٤. عدم امتلاك المتلقي لأدوات التحقق، فعندما يزعم الروحاني أن هذا الأمر "ثبت بالدراسات العلمية" مثلا، لم يتمكن المتلقي من تتبع ذلك لجهله بالآلية التي يمكن اتباعها في ذلك، فيفترض أن الدعوى صحيحة حتى يثبت بطلانها.

٥. وجود بعض الروحانيين الذين يحملون شهادات "علمية"، مما يوهم أن ما ينظرون له متفق مع خلفياتهم الأكاديمية، **فدبياك شوبرا** – مثلا – طبيب، وكذلك **وليد فتيحي**، وصاحب كتاب "طاو الفيزياء" يملك شهادة دكتوراه في الفيزياء، بينما طرحهم هو خلط وتلبيس متعمد.

٦. الاعتماد على العلم الزائف pseudo science ، والذي يعرف بأنه: أيّ تصريح أو اعتقاد أو ممارسة يُدّعى أنها حقائق علمية، مع افتقارها للأدلة التي تثبتها وفقا للمنهج العلمي التجريبي. وهو وصف ينطبق على أغلب ما يُطرح في هذا المجال.

ولأجل ما سبق فإن كشف زيف الدعاوى العلمية الروحانية يتطلب أهلية علمية تمكن الناقد من تحديد مواطن الدجل، وإبرازها للناس، مع تمتعه بالصفات والمؤهلات التي تجعله محلا للثقه، ولا بد أن يُعلم أنه وإن وجدت حالات شاذة لمن يروج للخرافات الروحانية من أصحاب التخصصات العلمية، إلا أن الأعم الأغلب يحاربون تلك الخرافات ولا يرضون بنسبتها لتخصصاتهم.

الجانب الثاني : نقدهم للعلم التجريبي .

من التناقضات التي وقع فيها بعض رواد التيار الروحاني هي محاولة توظيف العلم التجريبي لنشر مبادئهم الفلسفية مع نقدهم – في ذات الوقت – للمنهج العلمي. يقول **ديباك شوبرا** في (مستقبل الإله): "العلم التجريبي التقليدي لم يعد صالحا"، ويدعو إلى "فهم جديد للعلم". ولذلك بصف بعض الباحثين الروحانية الحديثة بأنها تمثل تجاوزا لعهد "العلم" – أو ما يسمى scientific era – الذي ينظر للإنسان نظرة آليه ، وهذا التحرر من منهجية العلم الحديث يعد من خصائص هذا التيار كذلك.

وهذا النقد للمنهج العلمي يوازي نقدهم للمنهج "السلفي" في الدين، حيث يفضح كل من المنهجين – العلمي التجريبي والديني السلفي – محاولاتهم التلفيقية في نشر فكرهم، فإذا ادعوا أن فلسفاتهم من الدين ردهم المنهج السلفي، وإذا ادعوا أن خرافاتهم من العلم ردهم المنهج العلمي. فهم بمطالبتهم بقراءة جديدة للدين وفهم جديد للعلم يسعون لاستغلال القبول الشعبي لكل منهما مع تعطيلهما من الدلائل الحقيقية لكل منهج.

ثانيًا : التيار الروحاني والإلحاد المادي .

تختلف مصادر المعرفة بشكل جذري بين التيارات المادية والتيارات الروحانية، فالمادية تعتمد على المشاهد والمحسوس، وتنكر ما غاب عن الحس ولم يمكن إخضاعه للتجربة، بينما التيارات الروحانية تعتمد على الحدوس والإلهامات والأصوات الداخلية والتي لا يمكن إثباتها بحال.

ولذلك نجد أن الاتجاهين متضاربين متعارضين في سبل المعرفة، فالمادي يصف الروحاني بالدعاوى الخرافية، والروحاني يتهم المادي بالجمود والمحدودية. وفي كل من التهمتين بعض الحق، فالمادي محق في أن الروحاني لا يعتمد على دلائل صحيحة في تحصيل المعرفة، والروحاني محق في أن للمعرفة سبل غير المشاهدة والتجربة الحسية، ولكنه ضل عن تلك المصادر الصحيحة المتمثلة بالوحي الإلهي الحق.

ومما يزيد الخلاف بين الاتجاهين اقتحام بعض الروحانيين لما هو من مجالات التجربة، والادعاء أن هناك ارتباط بين العلوم التجريبية من جهة والعلوم الباطنية الروحانية والمعتقدات الصوفية من جهة أخرى.

ويظهر هذا الخلاف بين التوجهين في عدد من المناظرات بين **ديباك شوبرا** –خاصة– وبين رموز الإلحاد المادي في الغرب، كـ **سام هارس** و**مايكل شيرمر** و**ريتشارد دوكنز**، وقد استضافه **دوكنز** في برنامجه المعروف : "أعداء العقل".

ثالثًا : الحرب على الإلحاد في الخندق الروحاني.

إن الخلاف الظاهر بين التيارين أدى إلى التباس حال التيار الروحاني على بعض من أحسن الظن بهم، خاصة مع استخدام **ديباك** وأمثاله للمصطلحات الدينية وتكرارهم للفظ "الإله"، بالإضافة إلى انتقادهم الشديد للمادية الصرفة، بينما مذهبهم -في الواقع- لا يقل خطورة وانحرافا وكفرا عن نظيره الملحد المادي. وظُنّ أنه يدافع عن "الإيمان" بالله وقضايا الدين الغيبية، فصار بعض المسلمين يستشهد بأقوال الروحانيين في ردهم على الماديين، واعتقدوا أنهم في خندق واحد مع عدوهم المشترك، الملحد المادي المنكر للإله.

وفي مثل هذا التصور المغلوط إشكالات ضخمة أدت إلى تصحيح النظرة الروحانية للإله في اعتقاد بعض الناس، لأن الذي يحارب الإلحاد -في ظنهم- لا بد أن يؤمن بالإله، وهو ظن خاطئ بلا شك.

بل إن الواقع هو أن مصادر المعرفة عند الملحد المادي أقل بعدًا عن الحق من الملحد الروحاني، وذلك لأن المعرفة تنقسم إلى قسمين : معرفة غيبية ، ومعرفة مشهودة، فالمعرفة الغيبية -عند المسلم- ليس لها مصدر سوى الوحي، ومن ثم لا تؤخذ إلا من النقل الصحيح. وأما المعرفة المشهودة فمصدرها العقل الصريح والتجربة المطردة، أو ما يُعرف اليوم بالمنهج العلمي الحديث.

فإذا نظرنا في المنهج المادي وجدنا اتفاقا معه في إثبات الحقائق الحسية في الجملة، مع مباينته فيما يتعلق بالمعرفة الغيبية، حيث ينكرها المادي كليا، ويثبتها المسلم بشروط. بينما المنهج الروحاني لا يتفق مع المنهج الشرعي في أي من الجانبين، فإثباته للمعرفة الحسية منحرف، حيث ينكر المحسوسات ويجعلها انعكاسات ذهنية، ويثبت السببية بالتجارب والمنافع الشخصية، دون التفات لانتقاد المختصين، أو التحقق العلمي السليم. كما أن إثبات الروحانية للمعرفة الغيبية منحرفة كذلك، حيث لا يعتدون بالأديان ولا الوحي والنبوة، وإنما يجعلوت الوحي مشترك بين الناس، يمكن لأي أحد تحصيله، فأثبتوا حصيلة ضخمة من الخرافات والدعاوى الغيبية بحجة الكشوف والحدوس ونحو ذلك .

وهذا -بلا شك- ليس تهوينًا من كفر الملحدين وخطورة مذهبهم، وإنما هو تأكيد على شدة انحراف المنهج الروحاني، علمًا أن جملة الخلاف بين الفريقين ليس حول مفهوم "الإله"، فإن الماديون لا يعترضون كثيرا على مفهوم الروحانيون للإله، فالقول إنه الوجود المطلق، أو الكون، أو المبدأ العام لا يتعارض بشكل ظاهر مع ما يعتقده الملحدون، وإن كانوا يعترضون على تسميته بـ "الإله"، لأن هذا المصطلح -

برأيهم- يحملُ في طياته تراثا تاريخيا واعتقتديا ضخما لا يقبلونه، وأهم ذلك كون الإله منفصل عن الكون، وكونه موجود قبل إيجاد خلقه بعلمه وإرادته، وأنه يتصف بصفات الربوبية كالخلق والملك والتدبير، ومن ثم يحكم ويحب ويكره ويوجب ويحرم، ثم يجازي ويعاقب، كل هذه المعتقدات التي لا يقبلها الملحد لا يطرحها الروحاني أصلا، ولذلك نجد أنه في كثير من "مناظراتهم" يصرح الملحدون أنهم لا يعترضون على المفهوم الروحاني للإله، مثل **مايكل شيرمر** في حواره مع **ديباك شوبرا**، و **سام هارِس** كذلك، بل إن **هارِس** - الذي يعد رابع "الملحدون الجدد"- يتبنى بعض المبادئ الروحانية، ويطرحها كنوع من التجربة النفسية التي تسد حاجة الإنسان للتدين دون أن يضطر للاعتقاد بدين واتباع تعاليمه.

فالمقصود إنه لا يمكن أن يصنف الروحاني بأنه "مؤمن" حتى بالحد الأدنى لمعنى الكلمة (إن سلمنا به جدلا)، والذي يمكن أن يدخل في عمومه كل من يؤمن بنوع "إله" مهما كان ذلك "الإله" ما دام له حقيقة ووجود فعلي، بل إن الروحاني "ملحد" في الواقع، وإن لبس على الناس بمصطلحاته.

ثالثًا : مفهوم الإلحاد الروحاني .

الإلحاد لغةً : الميل. وهو في الاصطلاح: الميل عما يجب اعتقاده أو عمله، ويكون الإلحاد في أسماء الله تعالى لقوله ﷻ: ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أسمائه ﴾، ويعني الانحراف في هذا الباب، ويكون في آياته لقوله تعالى: ﴿ إن الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾، ويعني: الإلحاد في الآيات الكونية بإشراك غير الله في خلقها، أو الإلحاد في آيات الله الشرعية بتحريفها وتكذيبها. وأطلق بعض السلف وصف الإلحاد على من لا دين له.

فبالنظر في معاني الإلحاد عند المتقدمين من المسلمين نجد أنها تنطبق على كلٍ من الروحاني والمادي بالتأكيد، ولكن إطلاق "الإلحاد" في الاصطلاح الحديث ليس مطابقا للمعاني المذكورة آنفا، وإن كان مستلزما لها. ولذلك فإننا بحاجة إلى تعريف الإلحاد المعاصر لتتضح علاقته بالتيار الروحاني.

يُعرّف الإلحاد Atheism في قاموس (مريم ويبستر) بأنه "عدم الاعتقاد بوجود إله أو آلهة، أو الاعتقاد الجازم بعدمها" ، وقيل: هو "موقف فلسفي أو ديني يتصف بإنكار وجود إله أو آلهة".

فالملحد إما أن لا يعتقد بوجود إله –وإن كان لا ينكره لاستحالة إثبات عدم الإله في نظره، أو أن ينكر وجوده لما توهم من الدلالات العقلية والحسية على ذلك.

وبهذه التعاريف لا يُشكل على القارئ وصف الماديون المنكرون للإله بالإلحاد، بل إنهم يتبنون هذا الوصف ويفتخرون به وينافحون عنه، ولكن المشكل وصف رواد الروحانية الحديثة بالإلحاد – خاصة **أوشو وديباك وتولي وداير** – لعدة أسباب:

١. أن هذا المصطلح قد أصبح علما على الملحدين الماديين، وهم من ينصرف إليهم الذهن عند إطلاقه.
٢. أن الروحانيون لا يوصفون بالإلحاد عادة، وربما اعترض بعضهم على هذا الوصف لأجل مفهومه المادي الشائع الذي لا ينطبق عليهم.
٣. أن الروحانيون يتحدثون عن "مفهومٍ ما" للإله، وربما كتب بعضهم المقالات والمؤلفات بهذا العنوان.
٤. أن بعض الروحانيين تصدر لمناظرة الملحدين، واجتهد في إبطال مذهبهم.

فكيف إذًا –بعد ما سبق– يمكننا وصف الروحاني بالإلحاد؟

إذا كان الإلحاد هو عدم الاعتقاد بوجود إله، أو الاعتقاد بعدم وجوده، فإنها تتضح العلاقة بينه بين المفهوم الروحاني للإله مع تصور معتقدهم فيه.

تقوم الروحانية – في الجملة– على عقيدة وحدة الوجود، وتجعل الإله هو الوجود المطلق، والوجود المطلق بشرط الإطلاق لا وجود له إلا في الذهن، وليس في الخارج شيء اسمه وجود، بل الوجود صفة للموجدات لا حقيقة له تفارقها. فهذا الذي يسمونه إلها هو في الحقيقة عدم، ومن اعتقد أن الإله هو عدم فهذا هو الإلحاد بعينه و بأبشع صوره.

فإن قيل: ولكنهم يعترفون بالإله، فلا نلزمهم بما لم يقولوا، فإن لازم القول ليس بقول. قيل: إن لازم القول يختلف عن حقيقة القول، فاللازم ليس هو ذات القول ولكنه مرتبط به، وأما ما ذكر عن عقيدة وحدة الوجود عند الروحانيين فهو حقيقة قولهم وتحقيقه، بل إن بعضهم يصف المبدأ الأول –الذي يطلقون عليه "الإله" تجوزًا– بأنه "الفراغ"، وأنه اللا شيء.

ثم يطلقون عليه أوصافًا عرضية لا تقوم بذاتها، فيقولون هو المحبة المطلقة، أو الحكمة المطلقة. وكل ذلك تأكيد على عدم إيمانهم بإله حقيقي، فهذه الأعراض معان ذهنية، لا بد أن تتعلق بالمحب والحكيم. لاسيما أن المطلق –عندهم– مرادف "للوعي"، فالوعي هو "الإله"، وبهذا نعود إله تأليه الذات وتقديسها الذي يعد من آكد الأصول في هذا التيار.

ولذلك وصف العلماء الدهرية الذين قالوا : ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ بإنكار الرب والإلحاد، رغم أنهم أثبتوا قوة فاعلة هي الطبيعة والقوانين الكونية أو "الدهر"، ولو أطلقوا على هذا المعنى "إله" لما أخرجهم ذلك من مسمى الإلحاد، إذ العبرة بالحقائق لا بالألفاظ.

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** في (درء التعارض) : "والقائلون بوحدة الوجود حقيقة قولهم هو قول ملاحدة الدهرية الطبيعية الذين يقولون: ما ثم موجود إلا هذا العالم المشهود، وهو واجب بنفسه، وهو القول الذي أظهره فرعون لكن هؤلاء ينازعون أولئك في الإسم، فأولئك يسمون هذا الموجود بأسماء الله وهؤلاء لا يسمونه بأسماء الله وأولئك يحسبون ان الإله الذي أخبرت عنه الرسل هو هذا الموجود، وأولئك لا يقولون هذا، وأولئك لهم توجه إلى الوجود المطلق، وأولئك ليس لهم توجه إليه".

فإطلاق وصف "الإلحاد" على الباطنية القائلين بوحدة الوجود شائع عند علماء السلف وأهل السنة[4].

[4] فقد ذكره ابن الوزير ، والقاري، والشيخ سليمان بن عبدالله من أئمة الدعوة، ومن المعاصرين الشيخ بكر أبو زيد، والشيخ عبدالرحمن البراك، والشيخ صالح آل الشيخ، ود. علي عواجي، ود. محمد الخميس، ود. سفر الحوالي ، وغيرهم.